ضد العرب؛ وان اليهود المتدينين يلعبون الدور الأول في تأجيج العداء للعرب»[٢٣].

ان وضع المستوطن الاسرائيلي تحت حالة دائمة من التوتر النفسي، يحقق، في اطار التجربة الاسرائيلية، أهدافاً تبدو حيوية في سياق خصوصية التجربة. فهو، من جهة، يعتبر تعويضاً عن الجوامع الايجابية المشتركة المفقودة، أو الضعيفة، في التجربة الاسرائيلية، حيث يشعر المستوطن بأن ما يربطه بالمستوطن الآخر ليس الجنسية المشتركة، ومن باب أولى ليس رابطة الانتماء الاقليمي، وانما هو المصير المشترك، المبني على الخوف المشترك. كما يؤمّن التوتر الدائم مستوى عالياً من الولاء للنخبة الحاكمة، ويحدّ من التناقضات الايديولوجية، والصراع الطبقي، حيث يستمد الفرد صفته في المجتمع، بالدرجة الأولى، من كونه مهاجراً مستوطناً، أو ابن مهاجر مستوطن؛ بمعنى أنه انتزع أرضاً ووطناً من الآخرين، وليس انطلاقاً من وضعية طبقية، باعتباره عاملاً، أو فلّاحاً، أو مثقفاً، الخ.

غير ان التعبئة النفسية المتواصلة، والقائمة على تنمية الاحساس بالخوف ومشاعر الاستعلاء على الخصم، تؤدي الى بروز نمط من السلوك العصابي، على المستوى الفردي، والجماعي، حيث تتبلور شخصية للفرد تتميز باستجاباتها السلوكية السلبية تجاه الآخرين.

وقد تبيّن في بحث أجراه معهد الضغوط النفسية في جامعة حيفا، نشرته صحيفة «هآرتس»، في ٢٠/٢/١٩٨٦، «ان الجمهور في اسرائيل يعاني من نسب عالية من الضغوط النفسية التي تزيد كثيراً عن النسب في الدول الأخرى». وقال رئيس المعهد، البروفيسور شلومو ترزنيتس: «ان أحد تعبيرات الضغوط النفسية التي يعاني منها الجمهور نلمسه في الاحصاءات الطبية. فعلى سبيل المثال، ان عدد الذين يعانون من حالات ارتفاع ضغط الدم (ينتج في معظم الحالات من ضغوط نفسية) يبلغ ثمانية الى تسعة أضعاف النسبة في الولايات المتحدة... وكذلك، فان نسبة محاولات الانتحار في اسرائيل تعتبر أعلى نسبة بين دول العالم...». وبصورة عامة، فان الطابع العام للسلوك الفردي، والجماعي، يقترب كثيراً من المفهوم الذي اصطلح علماء النفس على تسميته بـ «السلوك المسيطر».

وميّز د. يوسف مراد بين السلوك المتكامل والسلوك المسيطر، فكتب: «ان السلوك المسيطر هو طريقة في الاستجابة للآخرين بمقاومة الاختلافات والتغير والنمو. فالشخص المسيطر شخص صارم لا يلين؛ فلا يحاول خفض التوتر الناشىء عن الاختلافات بالبحث عن غرض مشترك من خلال هذه الاختلافات، بل، على العكس من ذلك، يزيد الصراع عنفاً، والتوتر شدة، بينه وبين معارضيه.

«والسيطرة لا تمتاز بالتلقائية والحرية الحقة؛ وهي لا تقبل ان تلين؛ كما انها تحول دون النمو والتقدم؛ وغرضها الرئيس صيانة ذات المسيطر؛ فهي تعبير عن الخوف الذي يسود المسيطر ممّا يتهدده من تغيير فجائي يتوقع حدوثه اللحظة بعد الأخرى؛ وبعبارة وجيزة: سلوك المسيطر هو سلوك شخص فقد الشعور بالأمان والطمأنينة»[٢٤].

ويمكن للمرء ان يلمس بعض جوانب السلوك المسيطر داخل المجتمع الاسرائيلي، والمتمثّل في الارتفاع الهائل في معدلات الجريمة، بأنواعها، وفي حوادث السير، حيث تحتل اسرائيل المرتبة الأولى في العالم بالنسبة الى معدلات الجريمة وحوادث السير معاً. أمّا على الصعيد السياسي، فيمكن مراقبة السلوك الاسرائيلي تجاه الفلسطيني في الوطن المحتل، وخاصة سلوك المستوطنين اليهود تجاه الفلسطينيين في الضفة والقطاع، والذي أخذ أبعاداً خطيرة عقب اندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، والموقف الشعبي العام من موضوعة السلام مع العرب.

وتبدو المفارقة الاسرائيلية في كون التوتر الداخلي علاجاً (مسكّناً) للمشكلات الاجتماعية،